ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Dr. Amjaad Jameel Hamood
University of Wasit / College of Education for Human Sciences
Email:
ahammood@uowasit.edu.iq

Keywords: Reforms, Urukagina, Lagash, Reform, Tolerance

ARTICLE INFO

Article history:
Received 24Aug 2025
Accepted 18Sep2022
Available online 1 Oct 2025

The Early Manifestations of Concepts of Peaceful Coexistence and Social Justice in Ancient Iraq: The Reforms of King Urukagina as a Model

Abstract

The development of human civilization particularly in its social dimension is characterized by gradualness and slowness, making it difficult to trace its stages or pinpoint its transformations with precision. It can be likened to a tree that, upon reaching full maturity, appears entirely different from the seed it originated from, having diverged through numerous phases of change, One of the most striking examples of such conceptual evolution is what is known today as peaceful coexistence and social justice.

At first glance, these values may seem to be, products of modern European civilization. However the earliest foundations and formative expressions of these concepts date back thousands of years, specifically to the land of Sumer. A conical clay tablet, dating to the early third millennium BC and preserved in four copies perhaps due to its great significance at the time has reached us. It contains the reforms of King Urukagina, one of the rulers of the Lagash dynasty, These reforms are considered among the oldest known documents to challenge bureaucratic authority, which had become excessive in imposing taxes and exploiting the country's resources for its own benefit ultimately harming the poorer segments of society.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI : https://doi.org/10.31185/lark.4867

الإرهاصات الأولى لمفاهيم التعايش السلمي والعدالة الاجتماعية في العراق القديم
" إصلاحات الملك اوروكاجينا إنموذجًا"

م. د امجاد جميل حمود/جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

يتسم تطور الحضارة الإنسانية، لا سيما في جانبها الاجتماعي، بالبطء والتدرج، مما يجعل من الصعب تتبّع مراحله أو الوقوف على تحولاته بدقة، ويمكن تشبيهها بالشجرة التي بعد اكتمال نموها تبدو مختلفة تمامًا عن البذرة التي نشأت منها، وقد ابتعدت عنها عبر مراحل عديدة من التغير، ومن الأمثلة البارزة على التحول المفاهيمي ما يُعرف اليوم بـ "التعايش السلمي والعدالة الاجتماعية"، إذ يُخيّل للوهلة الأولى أنها من نتاج الحضارة الأوروبية الحديثة، إلا أن الإرهاصات الأولى والأسس الجوهرية لهذه المفاهيم تعود إلى آلاف السنين، وتحديدًا إلى بلاد سومر، اذ وصلنا لوح طيني مخروطي الشكل يعود تاريخه الى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد محفوظ بأربع نسخ؛ ربما لأهميته البالغة آنذاك، يتضمن إصلاحات الملك اوروكاجينا Urukagina (2355-2335ق.م.)، أحد ملوك سلالة لكَش، وتُعد هذه الإصلاحات من أقدم الوثائق التي واجهت تحكّم السلطات البيروقراطية، التي بالغت بفرض الضرائب واستغلال موارد البلاد لمصالحها الخاصة، مما انعكس سلبًا على الطبقات الفقيرة في المجتمع.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الكلمات المفتاحية :(اصلاحات، اوروكاجينا ، لكش، الضرائب، الاصلاح، التسامح)

المقدمة : تعريف مفاهيم التعايش السلمي والعدالة الاجتماعية وجذوره التاريخية في بنية المجتمع السومري:

التعايش لغةً مأخوذ من العيش عيشًا من باب سار اي صار ذا حياة (الوسيط، 2011)، ويعرف اصطلاحًا بأن يعيش الإنسان مع الآخر تعايشا قائما على المسالمة، والامان والمهادنة والاطمئنان (بو خبرة ، 2018، صفحة 216)

ويُعد مفهوم التعايش السلمي من المفاهيم الحديثة نسبيًّا في الخطاب السياسي والاجتماعي، ويشير إلى قدرة المجتمعات أو الجماعات المختلفة على العيش جنبًا إلى جنب في بيئة يسودها الاحترام المتبادل، والتسامح، ونبذ العنف، على الرغم من اختلافاتهم الدينية أو الثقافية أو العرقية، ويعرف كذلك بانه اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين تربطهم وسائل العيش واساسيات الحياة بصرف النظر عن انتمائهم ، ويعترف كلّ منهم بحقوق الاخر، أما العدالة الاجتماعية، فهي مبدأ يقوم على تحقيق المساواة في الحقوق والفرص، وضمان توزيع عادل للثروات والخدمات، بما يكفل كرامة الإنسان ويحدّ من الفوارق الطبقية، وعلى الرغم من ارتباط هذه المفاهيم بالفكر السياسي الحديث، فإن جذورها تمتد إلى أعماق التاريخ، فقد ظهرت بوادرها في نظم وقوانين بعض الحضارات القديمة، ومنها حضارة سومر، التي شهدت محاولات مبكرة لتنظيم العلاقة بين السلطة والمجتمع، وحماية الفئات الضعيفة من الاستغلال، عندما نتأمل طبيعة المجتمع السومري الذي

استوطن الجزء الجنوبي من العراق، وتحديدًا في المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، إذ شكّلت المنطقة بيئة خصبة لنشوء واحدة من أقدم الحضارات الإنسانية، بفضل وفرة المياه، وخصوبة الأرض، وتعدد المراكز الحضرية فيها، وظهرت المدن السومرية الكبرى مثل أور وأريدو ولكَش وأوروك منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وشهدت تطورًا سريعًا في التنظيم السياسي والاقتصادي والديني، مما جعلها مركزًا حضاريًّا متقدمًا في الشرق الأدنى القديم، وكان مجتمعًا مركّبًا ومتعدد الوظائف، يتكوّن من طبقات اجتماعية متباينة تشمل الكهنة، والموظفين، والحرفيين، والفلاحين، والعبيد. وعلى الرغم من هذا التفاوت الطبقي، فإن النظام السومري أوجد آليات تنظيمية تضمن قدرًا من التوازن والتعايش بين هذه الفئات، من طريق مؤسسات دينية واقتصادية وقانونية، تميّز النظام السياسي في سومر بوجود سلطة ملكية مركزية، غالبًا ما كانت ترتبط بالمعبد، مما منح الحاكم شرعية دينية إلى جانب سلطته المدنية. وكان الملك يُعرف بلقب "لوكَال"، أي "الرجل العظيم"، ويتولى إدارة شؤون المدينة، وقيادة الجيش، والإشراف على المعابد والموارد الاقتصادية، والى جانب الملك، وجدت طبقة من الكهنة والموظفين الإداريين الذين شكّلوا نواة البيروقراطية السومرية، وكان لهم دور كبير في تنظيم الحياة اليومية، وتحصيل الضرائب، وتوزيع الأراضي، وتوثيق المعاملات التجارية. ومع مرور الوقت، بدأت هذه الطبقة تمارس نفوذًا متزايدًا، مما أدى إلى ظهور مظاهر من الاستغلال والتمييز الطبقي، وهو ما مهّد لاحقًا لظهور إصلاحات اوروكاجينا .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

مشكلة البحث : ينطلق البحث من تساؤل رئيس: هل تعود جذور مفاهيم التعايش السلمي والعدالة الاجتماعية إلى الحضارات القديمة، أم أنها وليدة الفكر الأوروبي الحديث؟ ويهدف إلى الكشف عن أقدم النماذج الإصلاحية التي جسّدت هذه المفاهيم في سياق تاريخي مبكر.

أهداف البحث : يهدف البحث الى إبراز البعد الإنساني في حضارة سومر من طريق إصلاحات اوروكاجينا، تحليل مضمون الوثيقة الإصلاحية بوصفها نموذجًا مبكرًا للعدالة الاجتماعية، وإعادة قراءة المفاهيم الحديثة في ضوء الإرث الحضاري للشرق الأدنى القديم عامة وفي بلاد سومر خاصة.

أهمية البحث: تنبع أهمية دراسة الإرهاصات الأولى لمفاهيم التعايش والعدالة من الحاجة إلى فهم تطور الفكر الإنساني، وتفكيك التصوّرات السائدة التي تربط هذه القيم بالحضارة الغربية فقط، فإعادة قراءة التاريخ من منظور إنساني تُسهم بإبراز مساهمات الحضارات الشرقية، وتمنحها موقعًا أكثر إنصافًا في سردية التطور الحضاري العالمي، كما أن الكشف عن نماذج إصلاحية مبكرة، مثل إصلاحات الملك اوروكاجينا، يفتح المجال أمام دراسات مقارنة بين الماضي والحاضر، ويعزز من فهمنا لطبيعة السلطة، والعدالة، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم في سياقات مختلفة، كما تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على مساهمات

الحضارات الشرقية القديمة في ترسيخ قيم إنسانية عالمية، وتحدي التصوّر السائد الذي يحصر هذه القيم في السياق الأوروبي الحديث.

ويعتمد البحث على المنهج التحليلي التاريخي، بدراسة الوثائق والنصوص المسمارية ذات الصلة، وتحليل محتواها في ضوء المفاهيم الاجتماعية المعاصرة، مع الاستعانة بالمنهج المقارن لمقاربة المفاهيم بين الماضي والحاضر، وذلك من طريق دراسة النصوص السومرية المتعلقة بإصلاحات الملك اوروكاجينا، وتحليل مضمونها الاجتماعي والسياسي، وربطها بالمفاهيم المعاصرة للتعايش والعدالة، كما يستعين البحث بالمنهج المقارن، لمقاربة هذه المفاهيم بين الحضارة السومرية والحضارات التي اعقبت الحضارة السومرية ومفاهيم الفكر الأوروبي الحديث، بهدف إبراز نقاط الالتقاء والاختلاف، وتحديد مدى سبق الحضارات الشرقية في طرح هذه القيم.

مصادر البحث: يرتكز البحث على مجموعة من المصادر الأساسية والثانوية، تشمل:

- النصوص المسمارية الخاصة بإصلاحات اوروكاجينا، كما وردت في الدراسات الأثرية والترجمات ومنها (RIME) إذ دون فيها قراءة كاملة للنسخة الثالثة من وثيقة الإصلاحات في الجزء المعنون Presargonic Period (2700–2350 B.C) للباحث "D. R. Frayne"[1] والذي نُشر عام 2008 عن طريق University of Toronto Press، ضمن سلسلة Royal Inscriptions of Mesopotamia – Early Periods. يقدم هذا العمل تحقيقًا علميًا دقيقًا لجميع النقوش الملكية المعروفة التي تعود إلى مرحلة ما قبل سرجون الأكدي، أي قبل توحيد بلاد ما بين النهرين تحت حكمه، يركز الكتاب على مدن مثل لكش (Lagaš) وأوما (Umma)، ويعرض معلومات تفصيلية حول النصوص، تشمل أرقام المتاحف، مواقع الاكتشاف، والأبعاد الفيزيائية، إلى جانب تعليقات جغرافية وتاريخية تساعد في فهم السياق السياسي والديني لتلك الحقبة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

[*] D. R. Frayn (1951–2017م) من أبرز الباحثين الكنديين في مجال الآشوريات وتاريخ بلاد ما بين النهرين القديمة، حصل على درجة الدكتوراه (Ph.D.) من جامعة Yale عام 1981 في تخصص اللغات والآداب الشرقية القديمة، كما نال درجتي الماجستير والبكالوريوس من جامعة Toronto في الدراسات الشرقية القديمة. وقد كرّس حياته الأكاديمية لدراسة تاريخ العراق القديم، مع تركيز خاص على اللغات السومرية والأكدية، والنقوش الملكية التي توثق الحياة السياسية والدينية في المدن السومرية، لقد ساهم Frayne في ترسيخ منهجية علمية دقيقة في دراسة النقوش الملكية، وجعل من أعماله مرجعًا لا غنى عنه للباحثين في مجالات الآشوريات، التاريخ السومري، والدراسات المسمارية. ورغم رحيله، فإن إرثه العلمي لا يزال حيًا في أروقة البحث الأكاديمي، كان Frayne من أبرز المتخصصين في تاريخ العراق القديم، وقد أسهم بشكل كبير في دراسة النقوش الملكية والنصوص المسمارية، خاصة تلك التي تعود إلى الحِقب السومرية والأكدية المبكرة، تميّز بأسلوبه الدقيق في تحليل النصوص، واهتمامه بالسياق التاريخي والجغرافي، للمزيد بخصوص اهم نتاجاته العلمية ينظر: https://utoronto.academia.edu/DouglasFrayne/CurriculumVitae

- الدراسات الأكاديمية في تاريخ العراق القديم، من اهم الدراسات الاكاديمية العربية والمعربة التي اعتمدها البحث كتاب المرحوم طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "الجزء الأول" الذي يعد من ابرز المصادر التي دونت التاريخ الحضاري للعراق القديم ولا غنى للباحثين في هذا المجال عنه، و كتابي "القوانين في العراق القديم ،والشرائع " للدكتور فوزي رشيد يذكر أن سبب تشريع القوانين في بلاد وادي الرافدين لم يكن حدثًا عشوائيًّا، بل نتيجة كان لسبب مباشر ومحدد، يؤكد أن لا شيء ينشأ في الكون أو في حياة البشر دون وجود دافع أو سبب، ولهذا يشدد على أهمية فهم الظروف التي أدت إلى نشوء المجتمع الكبير قبل التطرق إلى نشأة القوانين ذاتها، وكتابات رائد السومريات الامريكي صموئيل نوح كريمر "التاريخ يبدأ من سومر "ترجمة طه باقر ، وكتاب "السومريون: تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم" ترجمة الدكتور فيصل الوائلي يُعد من أبرز المؤلفات التي تناولت حضارة بلاد سومر بأسلوب علمي وتوثيقي دقيق. كريمر، أحد أهم الباحثين في تاريخ العراق القديم، يسلط الضوء في هذا الكتاب على الجوانب السياسية، الاجتماعية، والدينية للسومريين، ويُبرز إسهاماتهم بتطور الحضارة الإنسانية
- المراجع النظرية والأبحاث في مفاهيم العدالة الاجتماعية والتعايش السلمي: وقد اعتمدت الدراسة على ما ورد في " Intercultural Dialogue and Human Rights: A Crucial Link for Building Intercultural Competences"الحوار بين الثقافات وحقوق الإنسان: رابط حاسم لبناء الكفاءات بين الثقافات" Léonce Bekemans، From Words to Action، 2014.* وثيقة معتمدة من قبل منظمة اليونسكو العالمية ، تسعى هذه الدراسة إلى توضيح العلاقة الجوهرية بين الحوار بين الثقافات وحقوق الإنسان، بوصفهما أساسًا لبناء كفاءات التعايش السلمي في المجتمعات المتنوعة ثقافيًّا، ونحاول في هذه الدراسة ربطها بتاريخ العراق القديم من دراسة كيف تعاملت المجتمعات القديمة مع التعدد الثقافي والديني في دراسة الاسس التي اعتمدتها الدراسة ومدى تطابقها مع ما ورد في اصلاحات الملك اوروكاجينا من مفاهيم للتعايش والعدالة الاجتماعية، فضلًا عن مصادر عربية وابحاث اخرى تناولت موضوع التعايش السلمي.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

متن البحث

اولًا : تداعيات الاصلاحات وإعادة تشكيل البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعي في مدينة لكش

قبل البدء بدراسة الاصلاحات يتوجب علينا توضيح الاوضاع السياسية والاقتصادية التي مرت بها لكش قبل وصول اوروكاجينا الى دفة الحكم ومن متابعة تاريخ لكش (2600–2350 ق.م) التي تعد من اشهر الولايات السومرية وتتكون من عدة مدن غنية تتجمع كل واحدة منها حول معبد، وكان حاكم لكش تابعا اسميًّا

* https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000259116

الى سلطة عليا متمثلة بملك سومر، وكان يتم انتخاب الحاكم يتم قبل المواطنين وكانت ادارات المعابد تؤدي دورًا مهمًّا في ذلك، ومهما يكن الامر فان الحكم يصبح وراثيًّا بمرور الزمن (رشيد ف.، 1970، صفحة 40)، وقد امتهن سكان لكش الزراعة وتربية الحيوان والملاحة والصيد والتجارة فضلًا عن الحرف اليدوية، وكان اقتصاد الولاية اشتراكيًّا خاضعًا لسلطة الدولة فالأرض كلها هي ملك لمعبود المدينة من الناحية النظرية وواجب المعبد ان يحافظ عليها بأمانة من اجل جميع المواطنين، ولم يكن بينهم من لا يملك ارضا وماشية بما في ذلك الفقراء، ولكون مناخ لكش حارا قليل المطر فان المشاريع الاروائية الضرورية كانت لحياة المواطنين ومزارعهم (رشيد ف.، 1970، صفحة 41).

واشتهرت لكش بكونها مركزًا إداريًّا نشطًا، واحتوت على معابد ضخمة، وسجلات مكتوبة، ونظام بيروقراطي متقدّم، وكان المجتمع السومري مجتمعًا طبقيًّا، يتكوّن من عدة فئات، أبرزها الطبقة الحاكمة وتشمل الملك وأسرته والنخبة الإدارية والدينية، العمال والحرفيين الذين شكّلوا العمود الفقري للإنتاج الاقتصادي والفلاحين الذين كانوا يعملون في أراضي الدولة أو المعبد، وكانوا عرضة للاستغلال، اما أدنى طبقات المجتمع فهم العبيد، وغالبًا ما كانوا أسرى حروب أو المدينين، ومن الناحية الاقتصادية اعتمدت المدن السومرية ومن ضمنها مدينة لكش على الزراعة والري المنظّم، إلى جانب التجارة الداخلية والخارجية، والصناعات اليدوية، مثل فيها المعبد يُعدّ مركزًا اقتصاديًّا مهمًّا، حيث تُخزّن فيه المحاصيل، وتُدار منه عمليات التوزيع والتشغيل (باقر، 1986، الصفحات 360-361).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

كان سكان لكش على علم تام بحقوقهم المدنية، وهم يقظون تجاه حكومة تحاول الاعتداء على حريتهم الاقتصادية والشخصية تلك الحرية التي يحافظون عليها على انها أساس لحياتهم وتخبرنا الوثيقة ان اهالي لكش شعروا بفقدان حريتهم في الايام التي سبقت حكم اوروكاجينا إذ إن تلك الحكومة قد غالت بفرض الضرائب والتحكم بمصائر المواطنين وسخرت الممتلكات لمنفعتها الخاصة (رشيد ف.، 1970، صفحة 41)، مما جعل اهالي لكش يشعرون بانهم مضطهدون ومستغلون فأطاحوا بحكم سلالة اور- نانشة، واختاروا حاكما من اسرة اخرى ، وكان هذا الحاكم الجديد الذي وضع هيبة للقانون والنظام الاجتماعي واستعاد الامن وثبت حرية المواطن (باقر، 1986، صفحة 324).

وشهدت مدينة لكش مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، حالة من التوترات الاجتماعية والاقتصادية، نتيجة لتغوّل السلطة الإدارية واستغلالها للموارد العامة، إذ تصف النصوص التي عثر عليها في المدينة الحالة التي عاشها سكان لكش إبان حكم الملوك الذين سبقوا حكم اوروكاجينا، يذكر ان المشرف على الفلاحين قد استولى على السفن وان المسؤول عن الحمير استولى على الحمير والمسؤول عن الغنم استولى على الغنم وجامع الضرائب استولى على مصائد الاسماك :"منذ قديم الزمان ،منذ ان ظهرت البذور، منذ ذلك الوقت ،الشخص

المشرف على الملاحين ،قد استولى على السفن ،وسائق الحمير قد استولى على الحمير لنفسه، وراعي الغنم ،قد استولى على الغنم لنفسه ،مصائد الاسماك ،جامع الضرائب قد استولى عليها" (رشيد، الشرائع، 1988، صفحة 209)، كانت الارض الجيدة حكرًا على الاغنياء وكانت تشترى بأسعار رخيصة من الفلاح، ربما من تراكمت عليهم الديون مما يجبرهم على بيعها، كما ان الحكام واقاربهم يستولون على الاراضي الجيدة حتى وان كانت ملكيات خاصة للناس، وكانوا يستغلون ممتلكات المعبد والأدوات الزراعية الموجودة فيه وحيواناته المخصصة لخدمته فيرد في النص :"في مزارع البصل العائد للحاكم للحراثة، وعلى الحقول الجيدة العائدة للآلهة مزارع البصل ، مزارع الخيار، العائدة للحاكم، قد امتدت ، ادوات ربط الحمار والثيران الجيدة موظفي المعبد الاداريين قد جهزت" (رشيد د.، 1988، صفحة 210)، تعرض كهنة المعبد وممتلكاتهم الى سلب ممتلكاتهم، إذ يرد في الوثيقة :"الشعير الذي انتجه موظفو المعبد الإداريون ، قوات الحاكم استولت عليه، رداء من جلد المنغ، رداء من نوع اواش، رداء فخم حقيبة تعلق على الكتف، رداء من الكتان، خيوط طويلة، شبكة صيد السمك، غطاء رأس برونزي، جناح غراب ناعم، رداء جلد، موظفو المعبد الاداريون كضريبة ايل عليهم تسليمها" (رشيد، الشرائع، 1988، صفحة 210).

وتعرض سكان لكش لضرائب كثيرة وفاحشة، فكان على اي شخص يقوم بممارسة عمل تفرض عليه ضرائب حتى دفن الموتى، وكان في لكش مقبرتان مقبرة عادية ومقبرة خاصة تعرف بـ"مقبرة قصب الإله انكي"(لم يحدد مكانها بالضبط)، وكانت الضريبة مختلفة بين المقبرتين فضريبة المقبرة العادية كانت: "من اجل دفن جثة في المقبرة، جعتها سبعة اباريق، وخبزها 420 قطعة، 2 اول شعير، رداء واحد ، عنز واحد، سرير واحد(او خموش) قد اخذ لنفسه ، 2 اول واحد من الشعير لواوموما ، قد اخذ لنفسه" (رشيد، الشرائع، 1988، صفحة 210).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

اما الدفن في المقبرة الخاصة "قصب الإله انكي" فيتطلب دفع الضريبة ذاتها في المقبرة الاولى مع اضافة كرسي، يتطلب :

"(للدفن) في قصب الإله انكي، الرجل المدفون، جعته سبعة اباريق، وخبزه420 قطعة، 2 اول شعير، رداء واحد، عنز واحد، سرير واحد، كرسي واحد او خموش، قد اخذ لنفسه" (رشيد، الشرائع، 1988، صفحة 212)، يتبين من تسمية المقبرة انها ارتبطت بقدسية خاصة لحصول الاموات فيها على حماية الإله انكي اله عالم الاموات ما يشعرهم بالطمأنينة.

ومن النصوص الواردة من المعبد يظهر اختلاف اجور العمال والكهنة والمغنيين: "حصة المغني من نوع كالا، العائد الى مدينة كرسو، 490 قطعة خبز، جرتين وابريق واحد من الجعة، لمغني الكالا العائدين

الى مدينة لكش 406قطعة خبز وجرة واحدة من اباريق سادو واحد من الجعة، لبقية الكالا 250 قطعة خبز، وجرة واحدة من الجعة للنائحات العجائز، 180 قطعة" (رشيد، الشرائع، 1988، صفحة 219).

ولا تذكر الوثيقة شيئًا عن الأحداث التي ادت الى الفوضى والفساد والاضطهاد ولكن يستشف مما ورد في مقدمتها بان تلك الحالة انما نتيجة لمحاولة حكام لكش فرض سيطرتهم على بلاد سومر وبعض الولايات الاخرى ، ولكن تلك الفتوحات اثبتت عدم جدواها ولم تلبث ان عادت لكش الى حدودها الطبيعية فكانت حقبة الحروب قاسية وما اعقبها من ويلات وجد بعدها مواطنو كيش انفسهم محرومين من حرياتهم السياسية والاقتصادية يتخبطون في الفوضى والفساد، إذ كانت الحكومة وهي تسير الجيوش وتعد العدة للحروب مضطرة لفرض ضرائب باهظة فتشير الوثيقة في مقدمتها الى ذلك" ، في طول البلاد وعرضها لا تجد إلا جُباة الضرائب" (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 31)، والى العدد الكبير لجباة الضرائب نظرًا لتنوع الضرائب المفروضة على المواطنين ، فشملت الضرائب بعض الحالات الاجتماعية منها حالات الطلاق، "..واذا شاء الرجل ان يطلق زوجته كان عليه ان يدفع خمسة شيقلات من الفضة للحاكم، وواحد للوزير.." (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 27)، كما كان عامل الزيت من ضمن من شملتهم الضرائب"، وإذا قام عامل بإنتاج شيء من الزيت فعليه ان يدفع خمسة شيقلات من الفضة، وواحد للوزير، وواحد لمدير القصر.." (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 27)، كذلك حالات البيع والشراء فرض عليها ضرائب: "حين يجلب المواطن خروفًا كي يبيع صوفهُ عليه ان يدفع خمسة شيقلات من الفضة اذا كان صوفه ابيض.." (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 27)، وحتى الميت كان ذووه مجبرين على دفع الضرائب، "..وحتى الموت لا يجلب الخلاص من الحياة حين يؤتى بميت الى قبره ليدفن، يحضر موظفو القصر لكي يسلبوا من اسرة الميت كميات من الذرة والخبز والشراب والأثاث.." (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 27)

لقد كانت الضرائب تجبى من مواطني لكش منهم بطرق لا يحسدهم عليها معاصروهم، وفضلًا عن فرض الضرائب عملت الحكومة على استغلال جميع الممتلكات العائدة للمعابد إذ يرد :"....اما بالنسبة للمعبد وممتلكاته فان الحاكم قد استولى عليها كما لو كانت ملكه الخاص.." (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 27)

فضلًا عن استغلال الحكومة لحقوق المواطنين، كانت الصراعات والحروب ولدت مدة من الانحطاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي، إذ تشير الوثيقة الى الفوضى والفساد في لكش بهذه المقدمة:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

"مفتش الزوارق حجز الزوارق، مفتش القطعان حجز القطعان،

مفتش الصيادين حجز الصيادين،.."

(كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 27)

وقد شكلت تلك التراكمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها مدينة لكَش، بيئة خصبة لظهور حركات إصلاحية تهدف إلى إعادة التوازن داخل المجتمع، فقد أدى تغوّل السلطة البيروقراطية، وتزايد الاستغلال الطبقي، إلى اختلال في توزيع الموارد، وارتفاع معدلات الظلم الاجتماعي، خاصة بحق الفلاحين والعمال والطبقات الفقيرة، حتى اتى الحاكم الطيب اوروكاجينا الذي وصفته النصوص السومرية بـ"الحاكم الطيب الذي يخشى الآلهة" فأعاد الحق والعدالة والحرية للمواطنين الذين قاسوا طويلًا لقد عزل مفتش القطعان واعفي القطعان من الضرائب كبيرها وصغيرها كما اعفي جز الصوف من الضرائب (ميسموني، 1970، صفحة 93).

كان الملك اوروكاجينا (Urukagina) من أبرز الشخصيات الإصلاحية في التاريخ السومري، وقد حكم مدينة لكَش في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد، في مرحلة اتسمت باضطراب اجتماعي وتضخم بيروقراطي، وتشير الدراسات الغربية، وعلى رأسها أعمال كريمر، إلى أن اوروكاجينا لم يكن مجرد ملك إداري، بل كان صاحب رؤية اجتماعية واضحة ، سعى إلى تقويم الانحرافات التي أصابت مؤسسات الدولة، واكتشفت إصلاحات اوروكاجينا من : لوح طيني مخروطي الشكل، محفوظ في أربع نسخ، وقد تم ترجمة محتواه في عدة دراسات أجنبية، منها ما ورد في أعمال وMieroop . وتشير هذه الدراسات إلى أن الوثيقة تضمنت مجموعة من الإجراءات التي هدفت إلى (Marc Van De Mieroop, 2007).

يصفها كريمر في كتاب (السومريون) بأنها "أول محاولة موثقة في التاريخ لتقييد سلطة الدولة لصالح العدالة الاجتماعية"، وهو توصيف يعكس إدراك الباحثين الغربيين لأهمية هذه الوثيقة في تاريخ الفكر السياسي المبكر.

وتشير بعض المصادر الى ان اوروكاجينا كان كاهنًا في احد معابد لكش (رشيد ف.، 1970، صفحة 29)، ربما يكون كاهنا ثائر ضد اضطهاد الحكام وسلبهم لممتلكات المعبد، ولم يكن ينتمي الى سلالة الملوك وصل الى الحكم بقيادته لثورة شعبية انتزع فيها السلطة من حاكم لكش لوكالندا ونصب نفسه حاكمًا (2365-2357ق.م)، ويصف دايمل انه وصول اوروكاجينا الى الحكم بإنه انقلاب وأن النصوص القانونية التي دونها كانت تهدف الى اضفاء الشرعية على المغتصب (Fraynes, 2008, p. 16)، الا ان عدم ذكر اوروكاجينا قيادته للثورة او الانقلاب او قتله للملك لوكالندا يضعف هذه الآراء .

ان دراسة مفهوم التعايش السلمي والعدالة الاجتماعية تستلزم الوقوف على أبرز البنود التي تضمنتها وثيقة الإصلاح الصادرة في عهد الملك اوروكاجينا، وتحليل مضامينها القانونية والاجتماعية، ثم مقارنتها بالاتجاهات الفكرية الحديثة في الدراسات الغربية التي تناولت موضوع التعايش وتحقيق العدالة داخل المجتمعات. كما يتطلب الأمر مراجعة ما ورد في الوثائق المعتمدة لدى منظمة اليونسكو العالمية، والتي أرست مبادئ السلام والتسامح والعدالة على انها ركائز أساسية لبناء المجتمعات الإنسانية, ويمكننا تحديد محاولات ترسيخ مفاهيم التعايش السلمي والعدالة الاجتماعية الواردة في اصلاحات الملك اوروكاجينا بعدة محاور :

المحور الأول : اعادة التوازن بين السلطة الدينية والمجتمع

كانت اصلاحات اوروكاجينا تهدف الى اعادة التوازن بين الدين والمجتمع واعتبار الدين مصدرًا اخلاقيًّا للسلطة ، وكانت من اولى الاجراءات التي قام بها هي محاولة فصل سلطة القصر عن المعبد فبعد ان لقب اوروكاجينا بـ "انسي ENSI اي الحاكم" لمدة سنة واحدة من بعد اعتلاء العرش، اتخذ لقب "ملك LUGAL " في خطوة تعكس طموحًا سياسيًّا ودينيًّا (Reforms of Urukagina, 2015, p. 123)، وتحاكي سياسة مؤسس السلالة الملك أور- نانشة، ربما يعكس هذا التحول رغبة في تعزيز الشرعية الدينية والسياسية.

ويرى Fraynes ان لقبا "إنسي و"لوكال" لقبين متكاملين، يعبّران عن شكل واحد من أشكال الملكية، غير أن كلًّا منهما يركّز على جانب مختلف من جوانب السلطة الملكية، لقب "إنسي" يحمل دلالات دينية واضحة، ويُعبّر عن مكانة الحاكم في علاقته بإلهة المدينة، ففي مدينة لكش، كان الحاكم إياناتوم "إنسي" شغل منصب كبير كهنة معبد الإله ننكرسو، أي إنه وكيله أو نائبه على الأرض وبالمقابل، فإن ننكرسو هو "لوكال" إياناتوم، أي سيده، وكذلك سيد المدينة بأكملها، أما لقب "لوكال"، فعندما يُطلق على البشر، يكون خاليًا من الدلالات الدينية، ويصف موقع الحاكم بالنسبة إلى رعاياه بوصفه قائدهم السياسي والعسكري الأعلى ،وبذلك، فإن إياناتوم، على الرغم من كونه "إنسي" لكش في علاقته بالإله ننكرسو، فهو في الوقت ذاته "لوكال" لكش من حيث علاقته الاجتماعية والسياسية بشعبه (Fraynes, 2008, p. 16).

ويحمل لقب إنسي دلالات دينية واضحة، ويُستخدم لتحديد موقع الحاكم في علاقته باله المدينة، أما لقب لوكال، فعندما يُطلق على البشر، يكون خاليًا من الدلالات الدينية، ويُستخدم لتوصيف موقع الحاكم في علاقته برعاياه، بوصفه القائد السياسي والعسكري الأعلى، اي إن اللقبين لا يعكسان سلطتين منفصلتين، بل يُظهران تكاملًا وظيفيًّا بين الشرعية الدينية والقيادة السياسية، فالحاكم السومري كان يُنظر إليه بوصفه نائبًا للإله في الأرض، وتعميقًا لهذا المعنى نجد اوروكاجينا يبتدئ نص الاصلاحات بان الآله ننكرسو الذي اختاره وامره

بتحقيق العدالة (رشيد ف.، الديانة، 1985، الصفحات 160 - 161)، وتنفيذ شرائع الالهة وتطبيق قوانينها التي هجرها اسلافه ، فيرد في المقدمة :

"الإله ننكرسو
بطل الإله انليل
الى اوروكاجينا
ملوكية لكش
قد منحه اياها
من بين 36000رجل
قد مسك يده" (رشيد، الشرائع، 1988، صفحة 215)

كان من بين الإجراءات التي اتخذها الملك اوروكاجينا، والتي تُعد من أقدم محاولات الإصلاح في التاريخ المدون، سعيه لإعادة التوازن بين سلطة المعبد والمجتمع، فعلى الرغم من اعتباره مختارًا من قبل الآلهة، فقد اضطلع بدور القائد الفعلي لشعبه، وسعى بإصلاحاته إلى تجسيد العلاقة العميقة بين الدين والسياسة في الفكر السومري القديم، بما يعكس إدراكًا مبكرًا لأهمية التكامل بين السلطة الروحية والزمنية في تنظيم شؤون المجتمع، اذ يُسجّل احد النصوص العائدة للملك أعماله المعمارية المكرّسة للإله ننكرسو، إله الحرب والزراعة في مدينة لكَش، يرد فيه :

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

"لقد بنى له حضيرة، مبنى يذهل بجلاله جميع الأراضي، وبنى له
مصنع نبيذ، يمدّه بأحواض ضخمة من النبيذ القادم من الجبال"
(Fraynes, 2008, p. 16).

ويشير النص إلى بناء منشأتين رئيسيتين، الحضيرة الملكية، و لم يكن مجرد مكان لتربية الحيوانات أو العربات، بل كان يُنظر إليه على انه مبنى ذو طابع شعائري، يرمز إلى القوة والتنظيم الملكي. وصفه بأنه "يذهل بجلاله جميع الأراضي" يعكس الرغبة في إظهار هيبة الملك أمام الآلهة والشعوب المجاورة، وهي محاولة لإعادة هيبة المعبد بعد ان مرت بمرحلة ضعف في عهد لوكالندا .

ربما يبرر بناء مصنع النبيذ، أهمية النبيذ في الطقوس الدينية السومرية، فقد كان يُستخدم في القرابين والاحتفالات، الإشارة إلى أحواض ضخمة من النبيذ القادم من الجبال تدل على وفرة الموارد، وربما تشير إلى التجارة أو السيطرة على مناطق جبلية غنية بالعنب، مثل المناطق الواقعة شرق بلاد سومر، يبين هذا النوع من النقوش كيف كان الملوك السومريون يربطون بين السلطة السياسية والبناء الديني، ويستخدمون العمارة كوسيلة لتأكيد شرعيتهم وتكريس علاقتهم بالآلهة (Fraynes, 2008, p. 217).

ومن الاصلاحات التي كانت تهدف الى اعادة التوازن بين سلطة المعبد والقصر في مدينة لكش عمد اوروكاجينا الى احداث تحولات جوهرية في بنيتها الدينية والإدارية، وكان من ابرزها تغيير تسمية مؤسسة "E2-MI2 التي كانت تُعرف بـ"بيت المرأة" إلى "E2-dBa-ba6 أي بيت الإلهة بابا "، مما يدل على إعادة هيكلة الطقوس الدينية وتوجه جديد في العلاقة بين السلطة الملكية والدين (Steinkeller, 2007, p. 210)، كانت المؤسسة مسؤولة عن مجموعة من المهام الإدارية، منها تنظيم وتقديم القرابين في المناسبات الدينية، وتوزيع الحصص الغذائية على العاملين في المؤسسة، وإدارة الثروة الحيوانية والمنتجات الزراعية، والإشراف على مسح الأراضي وتوزيعها، فضلًا عن تنظيم المواكب الدينية في الأعياد والمهرجانات، وتُظهر هذه المهام مدى تعقيد التنظيم الإداري في الحضارة السومرية، وارتباطه الوثيق بالمؤسسات الدينية، مما يجعل مؤسسة E2-MI2 مثالًا على التداخل بين الدين والسياسة والاقتصاد (Schrakamp, 2015, p. 145)، في السنة الأولى من حكم اوروكاجينا قام بتوسيع المؤسسة بعد تغيير تسميتها مع الحفاظ على هيكلها الإداري (Steinkeller, 2007, p. 217)، وهذا التغيير يعكس توجهًا نحو فصل السلطة الدينية عن الشخصية الملكية، وربطها مباشرة بالآلهة، ويُعد هذا التحول مؤشرًا على ديناميكية الفكر الديني السومري وقدرته على التكيف مع التغيرات السياسية والاجتماعية.

كانت E2-MI2 وهي مؤسسة دينية وإدارية تُدار من قبل نساء من العائلة الحاكمة، وعلى رأسهن الملكات زوجات ملوك او حكام لكش، مثل بارانامتارا زوجة لوكالندا، التي ورد اسمها في العديد من النصوص الطقسية ، وساسا زوجة اوروكاجينا، التي استمرت في أداء الطقوس بعد الإصلاحات، وقد أدّت الملكات الطقوس بأنفسهن، وقدّمن القرابين للآلهة، لإظهار مكانتهن الدينية الرفيعة ودورهن المحوري في الحياة العامة السومرية، اذ كانت الملكة تُعد الفاعل النحوي في النصوص الطقسية، طقوس giš-tag ومهرجانات الآلهة، التي شملت تقديم قرابين غذائية متنوعة مثل الحبوب، الجعة، الخبز، التمر، الأسماك، والحيوانات، وكان المتلقون لهذه القرابين هم الآلهة والأسلاف الملكيين، ومن أبرزهم الاله ننكرسو، والالهة بابا، (Steinkeller, 2007, p. 210).

يتبين لنا من اهتمام اوروكاجينا بتوسعة المؤسسة وقيام الملكة بالطقوس والاحتفالات بشكل شخصي دور المؤسسة في الحفاظ على التقاليد الدينية وتعزيز الروابط الروحية بين المجتمع والآلهة، وإن مؤسسة E2-MI2، وتحولها إلى E2-dBa-ba6، تمثل نموذجًا متقدمًا للتنظيم الديني والإداري في حضارة العراق القديم (Schrakamp, 2015, p. 148)، وتُبرز الدور الفاعل للمرأة الملكية في الحياة العامة (Steinkeller, 2007, p. 210)، كما أن هذا التحول يعكس مرونة الفكر السومري في التعامل مع التغيرات السياسية والاجتماعية، ويؤكد على مركزية الدين في إدارة شؤون الدولة والمجتمع.

المحور الثاني: ترسيخ دعائم النظام الاجتماعي وتحقيق العقد الاجتماعي :

تشير اصلاحات الملك السومري اوروكاجينا إلى انه عمل على ترسيخ دعائم النظام الاجتماعي بإصلاحات جذرية هدفت إلى الحد من الفساد الإداري والاستغلال الطبقي، فقد أظهر تمسكًا صارمًا بتوجيهات الإله ننكرسو:

"وتمسك اوروكاجينا بشدة بالكلمة التي قالها له ملكيه (ننكرسو)،منع الرجل الموكل بالملاحين من الاستحواذ على السفن، ومنع رئيس الرعاة من الاستحواذ على الحمير والأغنام، ومنع ناظر مصائد الأسماك من الاستحواذ على مصائد الأسماك"
(كريمر، السومريون، 1979، صفحة 456)

تعكس هذه الإجراءات حرصه على حماية الممتلكات العامة من التسلط الإداري، وتُظهر بداية وعي سياسي بأهمية العدالة الاقتصادية، وهو ما يتقاطع مع رؤية جون لوك الذي اعتبر أن حماية الملكية الخاصة هي من أهم وظائف الدولة في إطار العقد الاجتماعي (رباني، 2003، صفحة 70)، كما حرص اوروكاجينا على حماية موارد المعابد والكهنة من تدخلات الموظفين، إذ "منع الرجل الموكل بالمستودع من وزن مؤنة الكهنة من الشعير" (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 456)، في خطوة تهدف إلى الحفاظ على استقلالية المؤسسات الدينية ومنع استغلالها من قبل السلطة التنفيذية، ويُعد هذا الإجراء مؤشرًا على احترامه للسلطة الروحية، وسعيه إلى تحقيق التوازن بين الدين والدولة، وهو ما ينسجم مع تصور جان جاك روسو الذي رأى أن العقد الاجتماعي يجب أن يضمن حرية الفرد ضمن إطار جماعي يحترم المؤسسات العامة.

كما كان من أبرز إصلاحاته انه عمل على كبح جماح السلطة التنفيذية، إذ "منع مأمور التنفيذ (رئيس الشرطة) من تسلّم الفضة المدفوعة عن جز صوف الأغنام البيضاء والخراف" (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 456)، مما يدل على محاولته الحد من تغوّل الجهاز التنفيذي على الموارد المجتمعية، وترسيخ مبدأ الفصل بين السلطات ، وهذا التوجه يلتقي مع فلسفة توماس هوبز الذي شدد على ضرورة وجود سلطة مركزية قوية، ولكن بشرط أن تكون هذه السلطة ضامنة للنظام لا أداة للاستغلال (رباني، 2003، صفحة 68)، وهو ما حاول اوروكاجينا تحقيقه بضبط صلاحيات المسؤولين، وفي خطوة تعكس تفكيك الامتيازات الملكية لصالح العدالة الاجتماعية، "منع المأمورين من أخذ الضريبة من كهنة المعابد التي كانت تؤخذ عادة إلى القصر" (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 456)، مما يشير الى توجه واضح نحو إعادة توزيع السلطة الاقتصادية، وتحرير المعابد من الهيمنة المالية للسلطة الملكية ما يعكس روح العقد الاجتماعي

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

كما صاغه روسو، إذ يجب أن تُلغى الامتيازات الطبقية لصالح الإرادة العامة والمساواة بين المواطنين (روسو، 2013، صفحة 59).

إن هذه الإجراءات لا تعكس فقط وعيًا إداريًّا متقدمًا، بل تمثل أيضًا بداية لنموذج مبكر من الفكر السياسي القائم على التوازن بين السلطة والمجتمع، بما يشبه في جوهره مفهوم "العقد الاجتماعي" الذي ظهر لاحقًا في اوروبا، وإن اختلف السياق التاريخي، فإن الجوهر الأخلاقي والسياسي للإصلاح ظل مشتركًا، فالسلطة يجب أن تُمارس لخدمة المجتمع (العلوي، 2019، صفحة 691)، لا استغلالًا لطاقاته وموارده كما تتضح لنا من المقارنة بين إصلاحات اوروكاجينا في العراق القديم ونظريات العقد الاجتماعي حقيقة تاريخية وفكرية بالغة الأهمية، وهي أن المبادئ الأساسية للعدالة الاجتماعية، وتنظيم العلاقة بين السلطة والمجتمع، وضمان الحقوق، لم تكن حكرًا على الفكر الأوروبي الحديث، بل لها جذور ضاربة في عمق التاريخ الإنساني، تعود إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، فقد جسّد اوروكاجينا نموذجًا بدائيًّا متقدمًا للعقد الاجتماعي، من طريق إصلاحات تهدف إلى حماية الفئات الضعيفة، ومكافحة الفساد، وتنظيم السلطة بما يخدم المصلحة العامة، وهو ما يتقاطع في جوهره مع ما طرحه هوبز من ضرورة وجود سلطة ضابطة، ومع ما أكده لوك من أهمية حماية الحقوق الطبيعية، ومع ما دعا إليه روسو من تأسيس المجتمع على الإرادة العامة والمساواة (شاكر، 2012، صفحة 5).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ان العناصر المشتركة بين الفكر الشرقي القديم والدراسات الغربية، يتمثل بكون العقلية البشرية في كل مكان تكون واحدة ومتشابهة وتعمل بالطريقة ذاتها لذا يجب تجنب المغالاة في الفوارق (توملين، فلاسفة الشرق، 1994، صفحة 18).

على الرغم من اختلاف السياقات الزمنية والثقافية، فإن العناصر الجوهرية التي تناولها كل من اوروكاجينا وهوبز ولوك وروسو تتقاطع بخصوص فكرة أن السلطة السياسية لا تكتسب شرعيتها إلا من خدمتها للمجتمع، وضمانها للعدالة، واحترامها للحرية. ومن هنا، فإن دراسة التجربة السومرية لا تُغني فقط فهمنا لتاريخ الفكر السياسي، بل تُعيد الاعتبار للشرق القديم بوصفه مساهمًا أصيلًا في بناء المفاهيم التي شكّلت دعائم الدولة الحديثة.

ان العناصر المشتركة بين للفكر الشرقي القديم والدراسات او الاتجاهات الغربية الحديثة تبين ان العقلية البشرية في اي مكان تكون واحدة ومتشابهة تعمل بالطريقة ذاتها، لذا يجب تجنب المغالاة في تحديد الفوارق (توملين، فلاسفة الشرق، 1994، صفحة 18)، وبالأخص عامل الزمان والبيئة، ولا يمكن للتاريخ ان يغفل عن دور اوروكاجينا بوصفه مصلحا اجتماعيا على الرغم من مدة حكمه القصيرة التي امتدت لمدة ثماني سنوات 2378-2370ق.م. (باقر، 1986، صفحة 324).

ولم تكن إصلاحات الملك اوروكاجينا مجرد إجراءات إدارية، بل جاءت استجابة مباشرة لحالة من التدهور الأخلاقي والمؤسسي، ومحاولة جادة لاستعادة القيم التي تضمن الحد الأدنى من العدالة والتعايش داخل المجتمع السومري، ويمكن اعتبار هذه الإصلاحات بمثابة وعي مبكر بأهمية ضبط السلطة، وتقييد نفوذ المؤسسات الرسمية، وتكريس مبدأ حماية الضعفاء من الاستغلال، وإن قراءة هذه الإصلاحات في ضوء السياق الحضاري تبين أن المجتمع السومري، على الرغم من بساطة أدواته، كان قادرًا على إنتاج نماذج متقدمة من التفكير الاجتماعي والسياسي، تُقارب في جوهرها مفاهيم العدالة والتعايش التي نراها اليوم في الفكر المعاصر.

ان تشريع الاصلاحات الاجتماعية يهدف الى تنظيم العلاقة بين افراد المجتمع وحماية الضعفاء من الاستغلال وتحديد العقوبات الرادعة، والتركيز على اضفاء الشرعية الدينية، فكانت بدايتها تعهدات الى الآلهة بحماية معابدها ، وذلك بوضع حد لاستحواذ الحكام على المعابد (رشيد ف.، 1970، صفحة 40)، والعمل على ترسيخ أسس العدالة الاجتماعية إذ ورد في ترجمة كريمر أن اوروكاجينا أعلن أن "الأرامل واليتامى أصبح لهم الحق في الحماية"، وهي عبارة تُعد من أقدم النصوص التي تُشير إلى مفهوم الرعاية الاجتماعية في التاريخ المدون (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 107).

اما البعد الأخلاقي في الإصلاحات فهو نابع من انها ليست مجرد رد فعل إداري، بل حملت بعدًا أخلاقيًّا واضحًا، تجلّى في محاولته إعادة تعريف العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين السلطة والمجتمع، ويشير جاكوبسن إلى أن هذه الإصلاحات تعكس تحولًا في الوعي السياسي داخل المجتمع السومري، من سلطة مطلقة إلى سلطة مسؤولة (جاكوبسن، 2021، صفحة 62)، وأن اوروكاجينا حاول تأسيس نوع من "الشرعية الأخلاقية" لحكمه، من تبني خطاب إصلاحي يضع العدالة في قلب السلطة، وهو ما يُعد سابقة في تاريخ الملوك السومريين الذين غالبًا ما ارتبطت شرعيتهم بالمعبد فقط (Cooper, 1983, p. 83)، ادرك اوروكاجينا اهمية الاستقرار الاجتماعي والسياسي وانعكاسه على مقاييس الحياة الاقتصادية، وكان اثر الاصلاحات عميقا ومتعدد الابعاد ، فهو لاقتصر على تنظيم العلاقات فحسب، بل يشكل أساسًا للتطور الاجتماعي ، إذ انه الضابط للسلوك العام مما يمنع الفوضى ويضمن احترام الحقوق، ويوفر اليات حل النزاعات والخلافات بين الأفراد بطرق سلمية وعادلة ويمنع التعدي على الحريات الفردية حتى من قبل السلطات ويضمن عدالة الجميع، ويعزز القيم الأخلاقية (Jacobsen، 1957، صفحة 105)، ويرى بعض المفكرين ومنهم ميشيل فوكو ان القانون وحده لا يكفي بل يجب ان يدعم بمنظومة اخلاقية قوية داخل المجتمع متكيفًا مع التغيرات الاجتماعية ويستخدم وسيلة للتحديث، ويسهم بتحقيق العدالة الاجتماعية من حيث توزيع الحقوق والواجبات بشكل عادل يعالج المشكلات الاجتماعية من جذورها، فالمجتمع المؤثر الاساسي في

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

صياغة القانون والقانون بدوره يعيد تشكيل المجتمع فكل قانون يعكس ثقافة المجتمع الذي نشأ فيه، وتطور المجتمع يرتبط بمدى وعي افراده بالقانون وحقوقهم مما يعزز المشاركة المدنية ويقلل الانتهاكات (فوكو، 2003، صفحة 14).

اما من ناحية تنظيم شؤون المجتمع فقد عالجت الاصلاحات ادق وابسط الامور التي عانى منها المجتمع بإصدار تشريعات تهدف إلى حماية الفقراء والضعفاء وإزالة الظلم والاستغلال الذي كان يعاني منه الشعب، وفرض قوانين تحمي الفقراء من استغلال الأغنياء والكهنة، بالعمل على رعاية حقوق المواطنين، فعاهد الآلهة بانه لن يسلم الضعيف والأرملة للقوي (باقر، 1986، صفحة 423)، فألغى وجود مسؤول جباية الضرائب "الماسكيم –maški" ، لأنهم مثلوا تجاوزًا للضرائب التي تفرضها الدولة من طريق وظيفتهم (Fraynes, 2008, p. 139)، وربما يعكس عزل هؤلاء المسؤولين ادعاء اوروكاجينا "بعدم تسليم اليتيم والأرملة إلى الأقوى" (Fraynes, 2008, p. 138)، ويتوافق مع الاستنتاج القائل بأن التضامن الرأسي كان أحد المبادئ الأساسية التي تحكم مراسيم اوروكاجينا.

كما انقص اوروكاجينا الضرائب التي فرضت على الزواج والطلاق (منشد، 2015، صفحة 12)، ومنع الزواج بأكثر من زوجة وفرض عقوبة الموت على من قام بذلك بالنسبة للرجل، وتحريم زواج المرأة بأكثر من رجل وكانت عقوبة الرجم حتى الموت على من تخالف ذلك :

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

"واعتادت نساء الأيام السالفة على الزواج بزوجين،
(ولكن)نساء اليوم (اذا حاولن هذا)يرجمن بالحجارة،
(التي كان يكتب عليها)قصدهن (الشرير)" (باقر، 1986، صفحة 457)؛ (ستروف، 1986)

فضلا عما سبق منع الاغنياء من الكهنة والمرابين من استغلال الفقراء (منشد، 2015، صفحة 14)، ويتضح لنا من احد النصوص ان العادة او المتعارف عليه فرض الاغنياء ورؤساء العمل البيع والشراء بأسعار تبخس حق البائع الفقير ، فيذكر احد النصوص :

"إنه (اي اوروكاجينا)اعلن(كذلك هذين الامرين):عندما يولد حمار لتابع من اتباع الملك ويقول له رئيسه (اريد ان ابتاعه منك). ولكن عندما يكون هو (اي الرئيس)على وشك ابتياعه منه ويقولون له (تابع الملك)(ادفع لي بقدر ما اراه مناسبًا) حرفيًّا:(زن لي من الفضة التي تسعد قلبي)، ثم اذا رفض بيعه (حرفيًّا: (لايسمح له بأن يشتري منه) فعلى الرئيس الا يضطره الى فعل ذلك (حرفيًّا:(يجب الا يضربه) من اجل ان يضطره على القبول)

عندما يكون بيت تابع ملك الى جوار بيت (رجل كبير) ويقول له ذلك (الرجل الكبير) (اريد ان ابتاعه منك) وعندما يكون (الرجل الكبير) على وشك ان يشتريه منه، ولكن(تابع الملك) يقول له(ادفع لي بقدر ما اراه مناسبًا(او) ادفع لي شعيرًا يعادل بيتي (ثم اذا رفض بيعه يجب على ذلك الرجل الكبير)ألا يكرهه على فعل ذلك)" (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 456)

منع اوروكاجينا ضريبة دفن الموتى وحاسب الكهنة عليها (باقر، 1986، صفحة 323)، ويشير الى تفاصيل هذا الامر بذكره:

"...وكانت جعة من يأتي بالميت الى المقبرة(للدفن) ثلاثة اباريق(فقط)،وكان(عدد ارغفة) خبزه80 (فقط)،وكان الـ...(موظف هويته غير معروفة) يستلم سريرًا واحدًا(فقط) ومسند رأس واحدًا، وكان الـ(لوديما) يستلم 3 (بان)(2\1 اول) من الشعير (فقط) وكانت جعة من يأخذ مواطنا (ليستريح) بين قصب (انكي)- أربعة أباريق (فقط) وكان (عدد ارغفة) خبزه 240(فقط)،وكان الـ... (موظفًا هويته غير محدودة) يستلم (اول) واحدًا (فقط) من الشعير، وكان الـ(لوديما) يتسلم 3(بان) من الشعير (فقط)وكانت الـ(نيند نيجير) تتسلم عصابة رأس امرأة واحدة، و(سيلا) واحدة من الزبدة" (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 458)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

و لم تكن معالجة امو المجتمع ومشكلاته مستقبلية فحسب، بل كانت اكثر عدلًا وانصافًا لتطبيقها بأثر رجعي ، بعد ان امر بأطلاق سراح المسجونين بسبب ديونهم السابقة او بسبب تخلفهم عن دفع الضرائب (باقر، 1986، صفحة 323)

"انه (اي اوروكاجينا) عفا عن (مواطني) (حرفيًا(بناء) (لكَش) الذين (كانوا في السجون بسبب)الديون (التي وقعت عليهم)، (او بسبب) كميات (القمح التي يدعيها القصر) كحق(له)، (او بسبب) الشعير (الذي يدعي القصر بأنه يعود) لمخازنه، (او بسبب) سرقة

او قتل، واطلق سراحهم" (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 457).

تكشف نصوص إصلاحات الملك اوروكاجينا عن وعي مبكر بأهمية التوازن الاجتماعي، وضرورة الحد من التوترات بين فئات المجتمع المختلفة، فقد تضمنت الوثيقة الطينية إشارات واضحة إلى حماية الفئات الضعيفة، مثل الأرامل واليتامى، من الاستغلال، ومنع الاعتداء على ممتلكاتهم، وهو ما يُعد تجسيدًا لمبدأ التعايش السلمي داخل مجتمع متعدّد الطبقات.

ويشير الباحث صموئيل نوح كريمر إلى أن اوروكاجينا "أعاد تنظيم المجتمع على أسس من الإنصاف، ورفع الظلم عن الفئات المهمّشة"، وهو ما يعكس إدراكًا بأن الاستقرار لا يتحقق بالقوة، بل من العدالة والتسامح بين مكونات المجتمع (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 80)

لقد ورد في نصوص الإصلاحات نقد واضح للسلطة البيروقراطية التي كانت تفرض ضرائب باهظة، وتستغل موارد الدولة لصالح النخبة الحاكمة. وقد سعى اوروكاجينا إلى تقويض هذا النفوذ بإلغاء الرسوم غير القانونية على المعاملات التجارية والزراعية، و منع الكهنة من فرض مبالغ مالية على الطقوس الدينية، و إعادة توزيع الأراضي بشكل أكثر عدالة بين المواطنين، وتنظيم أسعار السلع والخدمات لمنع الاحتكار والاستغلال، وما هذا التوجّه الا محاولة جريئة لتكريس العدالة الاجتماعية، عبر إعادة تعريف العلاقة بين السلطة والمجتمع، وتقييد امتيازات الطبقة الحاكمة لصالح الفئات الفقيرة (Marc Van De Mieroop, 2007, pp. 41-42).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وفي النص مؤرخ في السنة السادسة من حكم الملك اوروكاجينا، أحد حكّام مدينة ويُظهر المقطع ممارسة إدارية وعسكرية مهمة، وهي تعبئة الرجال المرتبطين بالمؤسسة الدينية، وتحديدًا بالإلهة بابا، في مدينة لكَش وتُعتبر إلهة الشفاء والخصوبة:

"المجموع: 155 رجلًا من المقاتلين الشجعان lú-EŠREN-kam))،

و12 من قوات ...، رجال ينتمون إلى ملكية الإلهة بابا،

وقد جمعهم اوروكاجينا في القصر" (Fraynes, 2008, p. 255)

تشير (lú-EŠREN-kam) إلى رجال مدرّبين أو مختارين بعناية، ربما لأغراض عسكرية أو شعائرية، هذه الفئة كانت تُعد من الصفوة، وقد تكون مرتبطة بالحرس الملكي أو الطقوس الدينية "رجال

ينتمون إلى ملكية الإلهة بابا" هم بعض الأفراد كانوا يُعدون جزءًا من ممتلكات المعابد، أي إنهم خدم أو موظفون يعملون ضمن نطاق المؤسسة الدينية، وليسوا أحرارًا بالمعنى الكامل، "جمعهم في القصر"

ان قيام الملك اوروكاجينا بحشدهم أو تنظيمهم في القصر الملكي، ربما لأغراض إدارية و احتفال ، أو استعدادًا لمهمة دينية أو عسكرية، هذا يعكس اهتمامه بان يكون القصر مركزا للسلطة والتنظيم الديني في الدولة السومرية.

ويتضح لنا ان السلطة الملكية في عهد اوروكاجينا كانت ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمؤسسات الدينية، إذ كان المعبد يُعدّ وحدة اقتصادية واجتماعية، والملك يُمارس سلطته من تنظيم الأفراد المرتبطين بهذه المؤسسات، كما أن استخدام مصطلحات مثل "المجموع" و تصنيف القوات الى ملكية وتابعة للمعبد يعكس تطورًا في الفكر الإداري السومري، ويُعدّ من أقدم الشواهد على التنظيم البيروقراطي في التاريخ.

مما ورد من معالجات لأهم القضايا التي عانى منها المجتمع السومري آنذاك، يمكننا القول بان اوروكاجينا كان قائدا فعليًا لأول انتفاضة اجتماعية في تاريخ البشرية سعى فيها لإزالة الظلم ونشر المساواة بين طبقات المجتمع، كما تجلت فيها اهم صور الانسانية بتدوينه كلمة "أمار- كي AMAR-KI" التي تعني الحرية لأول مرة في وثيقة مكتوبة ، مما يعكس ادراك معنى الانسانية والتزامه بتحقيق العدالة (الامير، 2025، صفحة 1352).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المحور الثالث: تنظيم الاقتصاد والموارد

كان الهدف الاساس الذي اعلنه اوروكاجينا في وثيقة الاصلاح يتمثل برفع الظلم وخفّض الضرائب التي كانت تُثقل كاهل المواطنين ومنع استغلال الطبقات العليا للمجتمع للطبقات الفقيرة (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980، صفحة 36)، ويمكن تحديد اهم انجازاته من الناحية الاقتصادية:

1- تحجيم سلطة المتنفذين في المعبد

يصف أوروكاجينا كيف أن رجال الدين وكبار الموظفين قد استحوذوا على واردات معابد الآلهة واقتسموها فيما بينهم، واحتجزوا لأنفسهم الأراضي المرموقة وما عليها من قطعان الماشية، مما جعل ممتلكات الفقراء تحت رحمة الأغنياء ونفوذهم المتعاظم (وولي، 1947، صفحة 49)، وإدراكًا منه لخطورة هذا الانحراف الاجتماعي، عمل على تحجيم سلطة الطبقات العليا في المجتمع بإقامة دعائم الحرية في مملكته، وسعى إلى إعادة التوازن بين طبقات المجتمع وتكريس مبادئ العدالة والإنصاف. كما أدرك أهمية الضرائب المفروضة بوصفها ركيزة من ركائز الدولة، فقام بتخفيضها

دون إلغائها بشكل نهائي، فقد غيّر القيمة المدفوعة بما يتماشى مع إمكانيات المجتمع، ليضمن أن تسهم بدعم الدولة من دون أن تثقل كاهل الفقراء أو تزيد من امتيازات الأغنياء.

2- تخفيض الضرائب

مثلت الاغنام جزءا مهما من اقتصاد المدن السومرية منذ عصر الوركاء وجمدة نصر، واستغلت الاسر الحاكمة الاغنام في انتاج الصوف واللحوم والألبان وغيرها من المنتجات الثانوية عنصرًا مهمًّا في الاقتصاد ، فكان الرعاة اذا اتلفوا الصوف يحضرون اغنام بدائل كغرامة عقابية "دفع رعاة الغنم الفضة (بدلًا عن الصوف)، دفع المساح ورئيس منشدي الرثاء، والوكيل وصانع الجعة وجميع رؤساء العمال بدلًا من تسليم حملان القرابين بالفضة" (RIMA, 1999)، يطلق عليها كريمر اول حالة تخفيض ضرائب في التاريخ (كريمر، هنا بدأ التاريخ، 1980)

وفي احد النصوص العائدة الى عصر الملك اوروكاجينا بخصوص قضية شخصين كانا يوردان الصوف الى المعبد مقابل (5 شيقلات)، وقد كان صوفًا نقيًّا يستخدم للطقوس، وكانت تفرض عليهم ضرائب (ربما تكون اغنام كاملة)، واذا ما تعرضت هذه الاغنام للأذى وبالأخص الامراض الناتجة عن تعرضها للحرارة , واستمر استخدام الغرامات النقدية في شريعة حمورابي اذ فرضت غرامة عند نفوق الحيوانات التي تحت رعايتهم واعتبر فرض رسوم باهضه عادة مسيئة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

3- اصدار اوزان ثابتة

ان اهم المكتشفات العائدة الى عصر اوروكاجينا تتمثل بالكتلة الحجرية المصنوعة من الكلس(النموليتي) ، التي استخدمت لتحديد الوزن ، وكانت على شكل مغزل يبلغ ارتفاعه 6.5 سم وقطره في المنتصف 4 سم، نقش عليها اربعة سطور او خانات عمودية ، كتب عليها :

"45 شيقلًا

(الإله) ننكرسو

اوروكاجينا

ملك كرسو" (Scheil , 1902, p. 279)

ان تحديد الوزن المنسوب إلى الملك اوروكاجينا مثالًا ملموسًا على التداخل بين السلطة السياسية والتنظيم الاقتصادي في مدينة كرسو، فالنقش الذي يربط الوزن بالإله ننكرسو، وبالملك نفسه، لا يعكس فقط شرعية دينية، بل يؤكد دور الدولة في ضبط المعايير التجارية وضمان العدالة في التبادل. إن تحديد الوزن بدقة (٤٥

شيكلًا، أي ربع مينا)، واستخدامه في سياق رسمي، يشير إلى وجود نظام رقابة متقدم يهدف إلى حماية الحقوق الاقتصادية ومنع الغش (Scheil , 1902, p. 280)، وهو ما يتماشى مع إصلاحات اوروكاجينا المعروفة في مجال العدالة الاجتماعية، ومن المحتمل جدًّا أن هذا النوع القديم من المينا قد تطوّر لاحقًا إلى أنواع متعددة من المينا في العصور التاريخية اللاحقة في العراق، والتي ربما كانت موجودة إلى جانب هذا النوع.

4- انجاز المشاريع الخدمية

اختتم اوروكاجينا وثيقته بقيامه بحفر قناة مياه مهمة في المدينة:

> "لقد حفر اوروكاجينا خلال هذه السنه لـ (ننكرسو)، القناة الصغيرة العائدة لـ(جرسو)، ربما حرفيًا:(التي تمتلكها جرسو) وسماها بأسمه القديم او ربما بالعكس الغى اسمه القديم، مسميًا اياه (ننكرسو - الذي - هو - قوي – خارجًا من-نفر).. لقد اوصله بقناة (نينداندو) (قائلًا):(عسى ان تجلب القناة الصافية التي قلبها مشع ماء نقيًا لنانشة)" (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 457)

كان اوروكاجينا صاحب رؤية إصلاحية شاملة تمزج بين الاقتصاد، العدالة، والدين، يعكس تدوينه في خاتمة الوثيقة حفر القناة فهمًا عميقًا لأهمية الماء مصدرا للحياة، ووسيلة لتحقيق الاستقرار الاجتماعي، ويبرز كيف كانت مشاريع البنية التحتية تُستخدم وسيلة لإبراز السلطة، وإرضاء الآلهة، وخدمة الشعب في آنٍ واحد.

وعند مقارنة إصلاحات اوروكاجينا بالمفاهيم الحديثة للعدالة الاجتماعية، يتبيّن أنها تُجسّد مبادئ أساسية مثل حماية الفئات الهشة، وتقييد السلطة، وتنظيم الاقتصاد بما يخدم الصالح العام. ويذهب بعض الباحثين الغربيين، إلى اعتبار هذه الإصلاحات "بذرة أولى" للفكر السياسي الأخلاقي، الذي سيظهر لاحقًا في الحضارات الكلاسيكية (كريمر، السومريون، 1979، صفحة 107)، وعلى الرغم من أن هذه الإصلاحات لم تستمر طويلًا، إذ أُطيح بالملك اوروكاجينا لاحقًا على يد ملك أوما، فإنها تظل وثيقة فريدة تُظهر أن الحضارات الشرقية القديمة كانت قادرة على إنتاج نماذج متقدمة من التفكير الاجتماعي، سبق في جوهره كثيرًا من المفاهيم التي نراها اليوم في الفكر الأوروبي الحديث.

المحور الثالث : الرمزية السياسية في وثيقة الاصلاح

كانت نصوص اوروكاجينا بلغة رمزية تعبر عن رؤية أخلاقية للحكم، وقد استخدم تعابير مثل "العدالة الإلهية" و"رفع الظلم"، وهي مفردات تُشير إلى أن الإصلاح لم يكن مجرد إجراء سياسي، بل كان يحمل بعدًا روحيًّا وأخلاقيًّا.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ويذهب الباحث Jerrold S. Cooper* إلى أن هذه اللغة "تُظهر أن الملك كان يقدّم نفسه كوسيط بين الآلهة والشعب، لا كحاكم مستبد"، وهو ما يعكس تطورًا في مفهوم الشرعية السياسية، وربطها بالقيم الأخلاقية والاجتماعية (Cooper, 1983, p. 12)، فيرد في اشارة الى ذلك في احد النصوص :

"اوروكاجينا ... جعل النحاس يلمع،

جعل سورها يرتفع،

تابع (أو تبع) ني،

اقترب من مدينته،

للمرة الثانية ...،

بنى (ذهب/ عمل)..." (Fraynes, 2008, p. 276) .

ويشير النص الى ان عهد اوروكاجينا، حين بزغ نور العدالة في أرض لكش، جعل النحاس يلمع في أروقة المعابد،

وارتفع سورها شامخًا، يحرس أهلها من كل سوء، وفي نص اخر يعود للسنة الرابعة من حكم اوروكاجينا يرد:

"أوركاجينا، ملك لكش. في شهر تناول الشعير المخصص للإلهة نانشه، قام إنجّال، المفتش، بتوزيع هذا من مخزن الحبوب التابع للإلهة باو" (Fraynes, 2008, p. 56)

يوضح النص جانبًا من التنظيم الإداري والاحتفالي في عهد اوروكاجينا، وربط توزيع الموارد بالمناسبات الدينية، السلطة الإدارية والدينية، يظهر أن اوروكاجينا لم يكن مجرد ملك، بل كان جزءًا من منظومة دينية - إدارية متشابكة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

* **Jerrold S. Cooper** : حاصل على درجة الدكتوراه من معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو عام 1969درّس في جامعة جونز هوبكنز من عام 1968 حتى 2008يحمل لقب أستاذ فخري في اللغات السامية يعمل حاليًا كـ باحث مشارك في جامعة كاليفورنيا، بيركل ، مختص في تاريخ علم الآشوريات وتأريخ في بلاد ما بين النهرين، ولديه دراسات حول الجنس والهوية في الشرق الأدنى القديم ، فضلًا عن تطور نظم الكتابة و الأدب ومن اهم مؤلفاته كتاب "ملاحم ملوك سومر: قضية أراتا" (Epics of Sumerian Kings: The Matter of Aratta) هو عمل أكاديمي الفه بالاشتراك مع الباحث H. L. J. Vanstiphout و، ويُعد من أبرز الأعمال التي تقدم نصوصًا سومرية ملحمية مترجمة إلى الإنجليزية مع تحليل أدبي وتاريخي، ينظر : https://neareast.jhu.edu/directory/jerrold-s-cooper/

يعكس توزيع الشعير في مناسبة دينية (شهر تناول الشعير للإلهة نانشه) ومن مخزن يعود للإلهة باوو هو التوزيع التاسع بحسب النص، يعكس كيف كانت الموارد تُدار باسم الآلهة، مما يضفي شرعية دينية على السلطة السياسية.

ان وجود المفتش "إنجّال" المسؤول عن التوزيع يدل على وجود بيروقراطية منظمة، إذ تُسجل التوزيعات وتُربط بالتقويم السنوي "التوزيع التاسع في السنة الرابعة"، يوحي بنظام أرشفة وتوثيق دقيق، كذلك نجد محاولة لابراز الوظيفة الاجتماعية للمناسبات الدينية، اذ لم تكن مجرد طقوس، بل كانت أيضًا فرصًا لإعادة توزيع الموارد على المجتمع، مما يعزز الولاء للنظام الحاكم ويُظهر عدالة الملك.

ان أكثر ما يلفت الانتباه في نصوص اوروكاجينا هو تركيزه على حماية الفئات الهشة من الأرامل واليتامى، إذ خصص اوروكاجينا جزءًا من الاصلاحات للأرامل واليتامى الذين استغلهم الاغنياء من قبل ومنع الاقوياء من الاعتداء عليهم او التجاوز على حقوقهم، وخصص مقدارًا ثابتًا من الطعام والشراب الى العمال والصناع المصابين بالعمى، وطرد السراق والقتلة من المدن :

"من السرقة، من القتلة، الأراضي الزراعية قد طهرت، وحريتهم اي (حرية مواطني لكش)، قد ثبتها ، اليتيم والأرملة للأقوياء ، لم يقدموا (بعد الآن من اجل استغلالهم)، مع الإله ننكرسو اوروكاجينا قد ربط نفسه بالعهد" (رشيد، الشرائع، 1988، صفحة 222)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يُفسّر الباحث Jacobsen "لم يعد يُسمح لأحد بأخذ ممتلكات الأرملة أو اليتيم" بأنه "تحوّل أخلاقي في وظيفة الدولة، من سلطة جباية إلى سلطة رعاية، وأن الملك لم يكن يسعى فقط إلى إصلاح إداري، بل إلى بناء مجتمع أكثر إنسانية، تُحترم فيه حقوق الضعفاء، وتُصان فيه كرامة الفرد، بغض النظر عن طبقته أو وضعه الاجتماعي (Jacobsen, 1957, p. 105).

وعند مقارنة هذه الإصلاحات بالمفاهيم الحديثة للعدالة الاجتماعية، يتبيّن أن اوروكاجينا سبق في طرحه كثيرًا من المبادئ التي تُعد اليوم من ركائز الفكر السياسي المعاصر، من مثل حماية الحقوق الفردية وتقييد السلطة التنفيذية

وعلى الرغم من أن هذه الإصلاحات لم تستمر طويلًا، إلا أنها تُعد شاهدًا على أن الحضارات الشرقية القديمة كانت قادرة على إنتاج نماذج متقدمة من التفكير الاجتماعي، تُقارب في جوهرها مفاهيم التعايش والعدالة التي نراها اليوم في المجتمعات الحديثة. فالمعبد، على سبيل المثال، لم يكن مجرد مركز ديني، بل كان مؤسسة اقتصادية واجتماعية تُشغّل العمال وتوزّع الموارد، وتُسهم بضبط العلاقات بين أفراد المجتمع.

كما أن القوانين السومرية، وإن كانت أولية في صياغتها، عكست حرصًا على تنظيم الحقوق والواجبات، وتحديد العقوبات بما يحدّ من النزاعات ويضمن الاستقرار.

المحور الرابع : تحقيق قيم العقد الاجتماعي

لم يكن التعايش السلمي في المجتمع السومري مجرد حالة عفوية، بل كان نتيجة لتراكمات تنظيمية ومؤسسية هدفت إلى الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه، في ظل تنوّع الأدوار وتفاوت المصالح. وتُعد إصلاحات اوروكاجينا امتدادًا لهذا التوجّه، إذ سعت إلى تقويم الانحرافات التي هددت هذا التوازن، من طريق الحدّ من استغلال السلطة، وحماية الفئات الضعيفة، وتعزيز العدالة في توزيع الموارد، وعند النظر في المفاهيم الأساسية للعدالة الاجتماعية كما وردت في إصلاحات الملك اوروكاجينا، نجد أنها تتقاطع بشكل لافت مع المبادئ التي ظهرت لاحقًا في الفكر الأوروبي الحديث، خاصة في كتابات جون لوك وجان جاك روسو وكارل ماركس. فمبدأ حماية الفئات الضعيفة، وتقييد سلطة الدولة، وضمان التوزيع العادل للثروات، كلها عناصر جوهرية في كلا السياقين، على الرغم من الفارق الزمني والثقافي، ومع ذلك، فإن ما يميّز النموذج السومري هو أنه نشأ في بيئة دينية–سياسية، إذ كانت السلطة مرتبطة بالمعبد، بينما تطوّرت المفاهيم الأوروبية في سياق علماني– فلسفي. وهذا يُظهر أن العدالة ليست حكرًا على نمط فكري معين، بل هي استجابة إنسانية متكررة لظروف الاستغلال والظلم.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

و تُعد حماية الأرامل واليتامى، ومنع الاعتداء على ممتلكاتهم، من أبرز مظاهر التعايش السلمي في نصوص اوروكاجينا. ويقابل ذلك في العصر الحديث ما ورد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948)، الذي ينص على حماية الفئات الهشة وضمان كرامة الإنسان.

كما أن مبدأ "عدم التمييز" الذي ورد في الإصلاحات السومرية، بمنع الاحتكار والتمييز في توزيع الأراضي، يُقارب ما جاء في المواثيق الدولية المعاصرة يخص المساواة والعدالة الاجتماعية. وهذا يُشير إلى أن التعايش السلمي ليس مجرد تطور حديث، بل هو قيمة إنسانية متجذّرة في التاريخ.

أن حضارة سومر كانت سبّاقة في طرح مفاهيم العدالة والتعايش، ليس فقط من طريق النصوص، بل عبر مؤسسات اجتماعية واقتصادية متكاملة. فقد كان المعبد مركزًا للتوزيع والرعاية، وكانت القوانين تُنظّم العلاقات بين الأفراد، وتُحدّد الحقوق والواجبات، ويُعزّز هذا الطرح ما ورد في دراسة Jerrold S. Cooper، الذي اعتبر إصلاحات اوروكاجينا "نقطة تحوّل في فهم وظيفة الدولة"، وهو ما يجعل من سومر نموذجًا مبكرًا لفكرة الدولة الاجتماعية، التي ظهرت لاحقًا في أوروبا في القرن العشرين.

و تُظهر المقارنة الحضارية بين إصلاحات الملك اوروكاجينا والمفاهيم الحديثة للعدالة الاجتماعية والتعايش السلمي أن القيم الإنسانية الكبرى لا تنتمي إلى حضارة بعينها، بل هي نتاج تراكمي لتجارب بشرية

متعددة. فقد أشار Marc Van De Mieroop إلى أن "العدالة في بلاد سومر لم تكن مجرد تنظيم إداري، بل كانت تعبيرًا عن رؤية أخلاقية للسلطة" (Marc Van De Mieroop, 2007, pp. 41 - 42)، وهو ما يتقاطع مع ما طرحه طه باقر في تاريخ العراق القديم حين اعتبر أن "الملك اوروكاجينا جسّد نموذج الحاكم المسؤول أمام شعبه، لا المتسلّط عليه".

كما يرى Jacobsen أن الإصلاحات السومرية "تُظهر أن المجتمعات القديمة كانت قادرة على إنتاج خطاب سياسي–اجتماعي متقدّم، يربط بين العدالة والشرعية"(Jacobsen, 1957, p. 106) ، وهو ما يتوافق مع ما طرحه سامي سعيد الأحمد في دراسته بخصوص الإصلاحات، حيث وصفها بأنها "وثيقة إنسانية مبكرة، تُعبّر عن وعي اجتماعي متقدّم في بيئة حضارية ناشئة".

إن إعادة الاعتبار لهذه الإصلاحات لا تهدف فقط إلى إبراز سبق حضاري، بل إلى ترسيخ فهم أعمق لتاريخ الفكر الإنساني، وتأكيد أن القيم الكبرى، من مثل التعايش والعدالة، هي نتاج مشترك لتجارب بشرية متراكمة، لا تنتمي إلى حضارة واحدة، بل إلى الإنسانية جمعاء.

الاستنتاجات

إن إعادة قراءة إصلاحات الملك اوروكاجينا في ضوء الفكر المعاصر تُسهم بتفكيك التصوّرات المركزية التي تربط القيم الإنسانية بالحضارة الغربية وحدها، وتُعيد الاعتبار للحضارات الشرقية بوصفها مساهمًا أصيلًا في بناء منظومة القيم العالمية، إذ تُظهر هذه الدراسة أن مفاهيم العدالة والتعايش ليست مفاهيم جامدة، بل هي قيم متجددة تعبّر عن حاجة الإنسان المستمرة إلى الإنصاف، والكرامة، والتوازن الاجتماعي، بغض النظر عن الزمان والمكان.

لقد كان التعايش السلمي في سومر جزءًا أساسيًّا من تطور الحضارة السومرية في العراق القديم، تلك الحضارة التي ازدهرت في الألفية الرابعة قبل الميلاد، واعتمدت على التعاون بين المجتمعات المختلفة لتحقيق الاستقرار والتنمية. ولما كان السومريون أول من أسّس المدن الكبرى مثل الوركاء ولكش، حيث عاش الناس من خلفيات اجتماعية واقتصادية متنوعة، فقد كان التعايش السلمي ضرورة لتطوير الزراعة، التجارة، والابتكارات مثل الكتابة المسمارية.

أما النظام القانوني، فان إصلاحات اوروكاجينا تُعدّ من أقدم الإصلاحات في تاريخ البشرية. ويُعدّ اوروكاجينا من أوائل المصلحين في التاريخ، إذ قاد حركة إصلاحية شاملة تهدف إلى القضاء على الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية والتعايش السلمي في المجتمع السومري. إن وجود وثيقة إصلاحية بهذا الحجم يدلّ على مدى تطور الوعي المجتمعي، وسعيه للحفاظ على حقوقه، مما أدى إلى انبثاق ثورة تهدف إلى حماية المجتمع وصون حقوق المواطنين تحت سلطة سياسية قوية.

وقد أظهر اهتمام اوروكاجينا بالقضايا الكبرى مثل الحرية، وكذلك بأبسط الأمور الاجتماعية كالبَيع والشراء والعبادة، دافعًا حقيقيًّا نحو إصلاح شامل يسهم في تأسيس دولة قوية تحارب الظلم والتعدّي على الحقوق. وعلى الرغم من اختلاف المرتكزات الأساسية للتعايش السلمي في مفهومه الحديث، إلا أن جوهره يتوافق مع ما ورد في مضمون وثيقة الإصلاحات السومرية.

إن هذا التوافق بين الرؤى الغربية والعربية يُعزّز من أهمية إعادة قراءة التاريخ من منظور تكاملي يُنصف الحضارات الشرقية، ويُعيد الاعتبار لمساهماتها في بناء منظومة القيم الإنسانية. كما يؤكّد أن مفاهيم العدالة والتعايش ليست وليدة الفكر الحديث، بل هي امتداد لتجارب إنسانية عميقة تستحق أن تُدرّس وتُستحضر في سياق عالمي مشترك.

من دراسة إصلاحات الملك اوروكاجينا في بلاد سومر، تم الكشف عن جذور تاريخية عميقة لمفاهيم العدالة الاجتماعية والتعايش السلمي، تُفنّد التصوّر السائد الذي يحصر هذه القيم في السياق الأوروبي الحديث، فقد أظهرت النصوص السومرية أن المجتمع الشرقي القديم، على الرغم من بساطة أدواته، كان قادرًا على إنتاج خطاب إصلاحي متقدّم، يُعالج اختلالات السلطة، ويكرّس حماية الفئات الضعيفة، ويُعيد تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أسس من الإنصاف والمسؤولية.

وقد بيّنت المقارنة الحضارية أن المبادئ التي طرحها اوروكاجينا، مثل تقييد البيروقراطية، وإلغاء الضرائب الجائرة، وحماية الأرامل واليتامى، تُقارب في جوهرها ما ورد لاحقًا في المواثيق الدولية والنظريات السياسية الحديثة. كما أن تعدد القراءات بين الباحثين العرب والغربيين يُعزّز من قيمة هذه الوثيقة بوصفها نموذجًا عالميًا مبكرًا لفكرة الدولة الاجتماعية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المراجع

المعجم الوسيط (المجلد 4). (2011). القاهرة: مجمع اللغة العربية.

On the Cultic Aspect of the“ Reforms of Urukagina .(2015) .*Journal of Cuneiform Studies*.

D. R. Fraynes .(2008) .Presargonic Period (2700 2350–B.C تـأليف). *Royal Inscriptions of Mesopotamia – Early Period* .University of Toronto Press.

I Schrakamp .(2015) .Girsu and the Archives of E2-MI2 .,*Zeitschrift für Assyriologie*.*2* ،

Jerrold S .Cooper .(1983) .Reconstructing History from Ancient Inscriptions: The Lagash-Umma Border Conflict تـأليف. *Sources from the Ancient Near East, Vol. 2, Part 1* .Undena Publications.

Marc Van De Marc Van De Mieroop .(2007) .*A History of the Ancient Near East ca. 3000 - 323 BC* .Blackwell Publishing.

P. Scheil .(1902) . Un poids babylonien .*Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.6* ،

P. Steinkeller .(2007) .The Function of the E2-MI2 in Early Dynastic Lagash .*Journal of Near Eastern Studies.66* ،

The article you're referring to is Early Political Development in .(1957) .Jacobsen .T .Mesopotamia .*journal Zeitschrift für Assyriologie und Vorderasiatische Archäologie*

أ. ف. توملين. (1994). *فلاسفة الشرق* (المجلد 2). (عبد الحميد سليم، و علي ادهم، المترجمون) القاهرة: دار المعارف.

الحاج رباني. (2003). *نظرية في العقد الاجتماعي كتأصيل لحقوق الانسان عند هوبز ولوك وروسو* . الجزائر: رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر.

السير ليونارد وولي. (1947). *وادي الرافدين مهد الحضارة دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر السلالات*. (احمد عبد الباقي، المترجمون)

ثوركيد جاكوبسن. (2021). *كنوز الظلام: تاريخ الديانة في بلاد ما بين النهرين*. (د.شاكر الحاج مخلف، المترجمون) دمشق: دار دموزي للنشر والطبع.

جان جاك روسو. (2013). *العقد الاجتماعي*. (عادل زعيتر، المترجمون) القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم.

فوزي رشيد. (1970). *اوروكاجينا*. بغداد: دار الحرية للطباعة.

فوزي رشيد. (1985). الديانة. تأليف *حضارة العراق "ج1"* . بغداد: دار الحرية للطباعة .

نهاوند علي العلوي. (2017). أفكار في السياسية عند جون لوك. *لارك،مجلد 9 عدد 1* .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss24.527

سعدون عبد الهادي الامير. (4 4, 2025). مفهوم الانسانية في الفكر العراقي القديم. *لارك*(مجلد 17 عدد 2025/2 Pt1).

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4086

فوزي رشيد. (1988). الشرائع. تأليف نخبة من اساتذة التاريخ، *العراق في موكب الحضارة "ج1"* . بغداد: منشورات وزارة الثقافة والاعلام.

رشيد عبد السلام بو خبرة . (يناير , 2018). التعايش السلمي في ضوء القران الكريم. *مجلة الدراسات الاسلامية والفكر للبحوث التخصصية، المجلد الرابع*، صفحة 216.

سامي شهيد شاكر. (2012). اصل العقد عند اصحاب نظرية العقد الاجتماعي هوبز،لوك،روسو واثرها على الفكر المعاصر. *مجلة كلية الاداب*.

صبيح ميسموني. (1970). *تاريخ العراق القديم*. بغداد: مطبعة شفيق.

صموئيل نوح كريمر. (1979). *السومريون (تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم)*. (د. فيصل الوائلي، المترجمون) بغداد: دار الغريب للطباعة والنشر.

صموئيل نوح كريمر. (1980). *هنا بدأ التاريخ (حول الاصالة في حضارة وادي الرافدين)*. (ناجية المراني، المترجمون) بغداد: دار الجاحظ للنشر.

طه باقر. (1986). *مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة " ج2"* . بغداد: دار الشؤون الثقافية.

عبد الامير منشد. (تشرين الثاني, 2015). اوروكاجينا الملك المظلوم. *مجلة الفنون والأداب وعلوم الانسانيات والاجتماع العدد (1)*،

ف. ف. ستروف. (1986). مسألة تكوين مجتمعات الرق، وتطورها، وانحلالها في الشرق القديم. تأليف جماعة من علماء الاثار السوفيت، *العراق القديم (دراسة تحليلية لاحواله الاقتصادية والاجتماعية)* (سليم طه التكريتي، المترجمون). بغداد: دار الشؤون الثقافية.

ميشيل فوكو. (2003). *يجب الدفاع عن المجتمع*. (د. الزواوي بغوره، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.

المواقع الإلكترونية :

https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000259116 -

https://neareast.jhu.edu/directory/jerrold-s-cooper/-

المصادر العربية مترجمة :

Al-Muʿjam al-Wasīṭ (Vol. 4). (2011). Cairo: Arabic Language Academy.

Tomlin, A. F. (1994). Philosophers of the East (Vol. 2) (ʿAbd al-Ḥamīd Salīm & ʿAlī Adham, Trans.). Cairo: Dār al-Maʿārif.

al-Ḥājj Rabānī. (2003). A Theory of the Social Contract as a Foundation for Human Rights in Hobbes, Locke, and Rousseau. [Unpublished master's thesis]. University of Algiers.

Woolley, L. (1947). Mesopotamia: Cradle of Civilization – A Social Study of Iraq's Early Dynasties (Aḥmad ʿAbd al-Bāqī, Trans.(.

Jacobsen, T. (2021). Treasures of Darkness: A History of Religion in Mesopotamia (Dr. Shākir al-Ḥājj Mukhlif, Trans.). Damascus: Dār Dumuzi.

Rousseau, J.-J. (2013). The Social Contract (ʿĀdil Zuʿaytir, Trans.). Cairo: Hindawi Foundation.

Rashīd, F. (1970). Urukagina. Baghdad: Dār al-Ḥurriyya.

Rashīd, F. (1985). Religion. In The Civilization of Iraq (Vol. 1). Baghdad: Dār al-Ḥurriyya.

Nahāwand ʿAlī al-ʿAlawī. (2019). Thoughts on Politics in John Locke. Lark, (Thought. Lark9, 1) DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss24.527

Saʿdūn ʿAbd al-Hādī al-Amīr. (2025, April 4). The Concept of Humanity in Ancient Iraqi Thought. Lark, 17(2/Pt1

https://doi.org/10.31185/lark.4086 DOI:

Rashīd, F. (1988). Laws. In Iraq in the Procession of Civilization (Vol. 1), authored by a group of history professors. Baghdad: Ministry of Culture and Information.

Rashīd ʿAbd al-Salām Bū Khubrah. (2018, January). Peaceful Coexistence in Light of the Holy Qur'an. Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Research, 4, 216.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

Shākir, S. S. (2012). The Origin of the Contract in Social Contract Theory: Hobbes, Locke, Rousseau and Its Impact on Contemporary Thought. Journal of the College of Arts.

Ṣabīḥ Maysmūnī. (1970). Ancient History of Iraq. Baghdad: Shafīq Press.

Kramer, S. N. (1979). The Sumerians: Their History, Civilization, and Characteristics (Dr. Fayṣal al-Wāʾilī, Trans.). Baghdad: Dār al-Gharīb.

Kramer, S. N. (1980). History Begins Here: On the Authenticity of Mesopotamian Civilization (Nājiya al-Marānī, Trans.). Baghdad: Dār al-Jāḥiẓ.

Ṭahā Bāqir. (1986). Introduction to the History of Ancient Civilizations (Vol. 2). Baghdad: Cultural Affairs Publishing.

ʿAbd al-Amīr Munshid. (2015, November). Urukagina: The Wronged King. Journal of Arts, Humanities, and Social Sciences, (1.(

Struve, V. V. (1986). The Formation, Development, and Dissolution of Slave Societies in the Ancient East. In Ancient Iraq: An Analytical Study of Its Economic and Social Conditions, authored by Soviet archaeologists (Salīm Ṭahā al-Tikrītī, Trans.). Baghdad: Cultural Affairs Publishing.

Foucault, M. (2003). Society Must Be Defended (Dr. al-Zawwāwī Bughūrah, Trans.). Beirut: Dār al-Ṭalīʿa

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية